فـ الأول العلم الذي هو الذي لا تؤدى زكاته باذا الدين ولا يكفي
كما أقمنا له لا بد حل تحت هذا الترجيح ولا يعلو عليه لسان الذم القسم
الثاني بالبذل فيما لم يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل
منه شيئا بعد ذلك ومن هذا أن كان فن فعل ما أمر الله به من إخراج ما أوجب وجبه عليه
الله عليه فينبغي أن لا يقتصر عليه بل لا اقتصار على الواجبات وترك النوافل
والخير إن إنما هو حال الضعفاء ولا ينبغي للمؤمن المعتنى بصلاح شأنه حالة
مع الله تعالى أن يترك معاملة الله فيما لم يوجبه الله عليه وإن كان
كذلك كان حاله كمن يصلي الفرائض ولا يقوم بمراتبها ويكفيك أن العبد
قوله سبحانه فيما حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب إلي المتقربون
بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه افترضته
فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا
فبين الحق سبحانه أن تكرار النوافل والقيام بها يوجب للعبد وجود الحب
من الله والنوافل هي كل قائم يطلب به لسان الحاج من صلاة أو صدقة
أو حج أو غير ذلك وقيل الغارم بالفرائض في القرآن المفتقر عليها
والقائم بها وبالنوافل معها والمحرم للذكر المفتقر عليها والممتزج
لها والمزكي معها كعبدين لسيد جعل عليهما أن يؤديا خراجا على كل
عبد منهما فأما العبد الواحد فإنه يأتي السيد بذلك ولا يزيد شيئا للتبر
ولا يتلذذ به ولا يوادده وأما العبد الآخر فإنه يقوم لسيده كل يوم

Copyright © King Saud University

٧٠

بما فاته به صاحبه لكنه يبشر من الثواب وللقبول كما يهم إلى سيده
زايدا على خراجه فهذا العبد لا محالة أحظى عند السيد وأحب نصيبا وأربى للحبة
من الحب والقرب إلى الرضا من السيد عليه لأن العبد الغارم بما فرض عليه
غير متودد إلى السيد وإنما أعطاه الشيء فأمن عقوبته والعبد
الذي أعطى سيده ما خارجه عليه وما زاد له بعده فهو متودد سلك مسلك
التودد للسيد والتعرض لحبه فهو جدير أن يقيم يقربه وإن شاء
جعل الحق سبحانه وتعالى الإيجاب على العباد علما منه بما تقوم عليه من
وجود الضعف ولما علم من نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فأوجب
عليهم ما أوجب لأنه لو خيرهم فيما أوجبت عليهم لم يكونوا به قائمين
إلا قليل وقليل ما هم فأوجب عليهم وجوبا كما قيد وفي التقييد
ما أوجب عليهم إلا دخول جنته فساقهم إلى الجنة بسلاسل الإيجاب
عجبت ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل تنبيه اعلم
رحمك الله أنا تلمحنا الواجبات من أنبياء الحق سبحانه وتعالى جعل في
كل واجبة تطوعا من جنسه في الأنواع لكي يكون ذلك التطوع
من ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات
وكذلك جاء في الحديث أنه ينظر في صلاة العبد فإن نقص منها ليكر
شيئا كمل من النوافل وأما هم رحمه الله هذا والكل مفتقر إلى على ما فرض ليس
الله عليك من النوافل فما هنا حب نوجب الكبائر على معاملة الله الكبائر

٨٩